حِكَايَا العُشَّاق
مسرحية شغرية
للشاعر:
شعبان مصطفى الدمنهوري

حكايا العشّاق

مسرحية شعرية

للشاعر:

شعبان مصطفى الدمنهوري

شخصيات المسرحية حسب ترتيب الظهور على المسرح:

١ ــ النبات الذكر

٢ ــ النحلة

٣ ــ النبتة الأنثى

٤ ــ الفتاة المُحبّة

٥ ــ الفتى المُحبّ

٦ ــ الطبيعة الأم

يفتح الستار.
المشهد العام عبارة عن مرج كثيف الخضرة على طرفيه زهرتان إحداهما لنبات مذكّر و الأخرى للنبتة المؤنّثة من نفس النوع، وبالقرب من النبات الذكر تبدو نحلة تحوم في المكان و كأنها تبحث عن شيء ما، و من نفس الجهة يدخل شاب حسن الهندام واثق الخطى إلى المرج، نراه و هو يغزّ خطاه و يلتفت حوله في المرج كأنه يبحث عن شيء ما، بينما في الجهة المقابلة حيث النبتة الأنثى في آخر المرج تجلس فتاة جميلة ملابسها متناسقة زاهية الألوان، إلا أن الفتاة يبدو عليها القلق و لا تستقرّ في موضعها و كأنها تنتظر شخص ما.

في البداية يتمّ إدارة المسرح بحيث يتصدّر النبات الذكر المشهد تعلوه زهرته زاهية الألوان كبيرة الحجم و نسمعه يشرح طبيعة موقفه في هذا المنولوج:

النبات الذكر :

١

كم هو رائع هذا العالم
رغم ما فيه من قسوة
فغذائي يتراكم جنبي
والماء ينساب بكثرة
وطعامي ليس من أجلي
بل من أجل تلك الزهرة
زهرتي فخري
زهرتي تاجي
هي أفضل منحة لحبيبي
آه لو كان بجواري
لانطفأ عذابي و لهيبي

٢

آه لو جذري يُطاوعني
ويُغادر أرضا تأسره
كنّا نترك هذا الموضع
ليشملنا حبيبي بمحضره
لم أره يوما في حياتي

والأرجح أني لن أره
لكن حبه يملأ ذاتي
وبعمق روحي أبصره
أرجو لقياه و لو بعدا
يا سعد لحظة أنظره

٣

أعلم أن الأمر محال
فحبيبي هناك على البعد
لن يهجر يوما موضعه
فلديه جذر كالقيد
جذر لا يرحم عشّاقا
ويرقّ لشوق كالأبد

٤

يا لهذا الجذر و قسوته
أفضاله قطعا تعلونا
يسقينا ماء يروينا
يخلطه غذاء يُنمينا
لكن ألا يرحم مرّة
ويجمع شمل مُحبّينا
لكن لا داعي للعتب
فالجذر سكون طبيعته
لن يُبدلها بتشكينا
لن يترك يوما تربته
فلنقبل دوما بالواقع
أيا ما كانت خطته

٥

واقعنا جميل في الواقع
إذ رغم البعد و الشوق
أهدانا رسولا للعشق
هو كائن غاية في اللطف
تكسوه الفطنة و الظرف

هو يسعى دوما للرزق
فطنته تهديه إلينا
فيهوّن البعد علينا
وينال جزاء عن حق
أنا لست بخيلا بطباعي
فلسوف أغمره بعبقي
كي يُدرك موضعي عن بعد
بعطوري أقيده بطوق
يجذبه نحوي مع الرفق
ولسوف أبهرج ألواني
وسأغدو بهيجا كالشفق
كي أملأ عينيه نعيما
ويندفع نحوي كالحذق
ولسوف أرضي أحشاءه
برحيق ينبع من عمقي

٦

لكن مهلا
فرحيقي ليس مجّانا
فهنالك كنز أملكه
أرجو أن أرسله مصانا
لحبيبي هناك على البعد
يأخذه سعيدا فرحانا
والفطن بيننا ينقله
لا يدري للأمر بيانا
مسعاه بريئا للرزق
سيُسدي إلينا إحسانا

٧

رجائي منه أن ينقل
حبوب لقاحي لحبيبي
هي أغلى هدية أملكها
أن وصلت ينطفئ لهيبي

لذاك سأخدعه قليلا
كي أظفر منه بنصيبي
فلقاحي سوف أجعله
في الخارج في صدر الزهرة
ورحيقي سوف أخزّنه
في قاع مظلم كالحفرة
كما أني سوف أقلله
كي يُشبعه نصف البطن
ليس عن بخل أفعله
بل خدعة حيكت للفطن
كي يسعى للنصف الآخر
حيث حبيبي قرب السكن
وهناك يقينا يلمحه
ويغوص في زهرته يقينا
وحبوب لقاحي يمنحه
وبذلك ينجح مسعانا
مقابل جهد نسفحه
فخداعنا للفطن هدانا
وصْلا على بعد نربحه

هنا نرى النحلة و هي تقترب من زهرة النبات الذكر و نسمعه يُكمل:

ها قد وصل فليتفضل
ما أذكاه!
ما انجحه!

ستار...

.....

يفتح الستار.
يعود المشهد لبدايته و من ثمّ يدار المسرح لتتوسّطه النحلة و هي ما زالت بعيدة عن النبات الذكر و نراها تتلفت في حركتها يمينا و يسارا بحثا عن الزهرة التي تحدّس و جودها في هذا الموقع لذلك نسمعها تُردّد:

النحلة :

١

أعلمه هنا
أعلمه فسيح و عميق
كلّي يقين
هو قصر يملؤه رحيق
وعطوره عبق يُسكرني
يجعلني أهوى التحليق
ألوانه لا أروع منها
كم تجعل أعضائي تفيق!
أسواره ألواح ضخمة
ينسجها بحرص و تقارب
مع فتنتها تبدو متينة
صعب نغزوها من جانب
لذا نتسوّر من أعلى
فالنصر حليف للغالب

٢

لكن أناه؟
لم لا أبصره؟
فنهاري ما أبكره
مع أول ضوء أنظره
أسعى للرزق لأحضره
إذ خلفى قفير أغادره
وهناك صغار تقطنه
تنتظر رحيقا أنقله
أصنعه عسلا أتقنه

كي تجد غذاء تأكله

٣

ما تلك الخضرة من تحتي؟
أين قصري؟
يا للعبق!
القصر قريب في الحق
العطر سيرشدني برفق
أنحرف يمينا لجنوب
من ثمّ يسارا للشرق

ثم يقع بصر النحلة على الزهرة أخيرا و نسمعها من فرحتها تُردّد:

٤

يا للروعة
هذا قصري
يصدق حدسي
يااللألوان الزاهية
رحيقي هنالك في الداخل
هذا حسبي
من فوق السور سأجتاز
وأحط هنالك بالرفق
من ثمّ سريعا للداخل
أعرف طرقي

نرى في صدر الزهرة أعواد اللقاح التي تحمل أكياس اللقاح التي ستُفرغها فوق النحلة أثناء عبورها لذلك نسمع النحلة تقول:

في مدخل قصري أغصان
تسد طريقي كالطوق
تحمل ثمرا لا أعرفه
لكنه يتساقط فوقي

ملمسه خشن بلزوجه
لذاك بجسدي يتلصقِ
لكنه ليس ثقيلا
و طريقي ليس بمنغلق
فلأعبر إلى بئر رحيقي
حتى أرشفه كالحذق

و أخيرا تصل النحلة لحفرة الرحيق فتتّجه إليها و هي تُردّد:

ه
وأخيرا قد نلت مرادي
فرحيقي أمامى في الحفرة
فسأرشفه كله فورا
من ثمّ أعود إلى القفرة
فهنالك عمل سأتمه
فحياتي سعيا في شقوة

لكن حفرة الرحيق لم تملأ سوى نصف بطن النحلة و تركت النصف الآخر شاغرا لذلك نسمع النحلة و هي تتحسّر مُردّدة:

ـــ تعسا
الأمر دوما يتكرر
فرحيق قصوري لا يُشبع
أأعود لبيتي أتضوّر؟
هذا أمر لا يُتصوّر
فشقائي لقومي لن يشفع
قفيري بعيدا في الواقع
والجهد ببدني قد أينع
وسيتكرّر نفس الحال
حتى أرجع
والقصر هنالك حفرته

لم تمنحني رحيقا ينفع
هي منحتني نصف البطن
ونصف خاو يتطلّع
وكأن الأمر مقصود
لأظل يومي أتسكع
٦
لكن هل لقفيري أعود
ببطن نصفها مطويّ؟
لا لن يحدث
لن أرجع من دون رويّ
لا عن طمع
بل عن حمل ملقى عليّ
فحتى عودتي لقفيرى
رحيقى أحمله نديّ
وهنالك سوف أصنعه
عسلا مطعمه شهيّ
وهناك رفيقات مثلي
خرجت تسعى
أتعود جميعها متخمة
ببطن ملأى
وأكون بينهم وحدي
ببطن فرغى؟
٧
لا لن يحدث
لن أرضى عارا يُخزيني
أنا أعلم عن سابق خبرة
هنالك قصرا يرضيني
في موضع ما هنا في الخارج
ورحيقه سوف يكفيني
إذ تُملأ بطني عن آخر
وأعود و فخري يُغطيني

لذاك سأنطلق بسرعة
وأغادر فورا من حيني
قصرا كالخربة قد صار
من دون رحيق يُغنيني
وتساقط ثمره في المخرج
لن يُثنيني

نبصر النحلة و هي تغادر زهرة النبات الذكر حتى تصبح خارجها و نراها تنطلق في المرج مُردّدة:

٨
ها قد صرت في الخارج
فلأبحث عنه من فوري
فالقصر الآخر موجود
لن يسبقني إليه غيري
يختبئ هناك أنا أعلم
فلأبحث و لأحزم أمري
يا للخضرة
تتكاثف كي تحرمني
بحر من خضرة يمتد
في الأسفل يُخفيه عني
بعناد يختبئ القصر
لن يتفلت دوما مني
فسأكشفه
أحتاج لصبر و تأني
فحواسي جميعها قد شُحذت
حتى منه تُدنيني
رائحته تسبقه دوما
تمتد كهاد يهديني
تأخذني سريعا لمكانه
وكأنها تأخذ بيميني

ها أنا أنشق
أعمق
أعمق
فلعل عبقا يأتيني
ياللروعة جاء العبق
والقصر هناك يناديني
هيا هيا لن أتردد
سوف أقصده من حيني
سأغذ خطاي على الفور
يسراي تسبقها يميني
خلف العبق حتى أراه
ينقلب مناي ليقين

أخيرا تبصر النحلة زهرة النبات الأنثى فتنطلق نحوها على الفور و هي تُردّد بسعادة:

٩
ها قد ظهر
ياللروعة
يبدو أكبر من سابقه
يبدو أندى
ولعل كذلك حفرته
علّها أغنى
لا يفصلني عنه إلا
بعض خفقات بجناحي
ثم سريعا أتسوره
ينجح مسعاي و كفاحي
وطريقى أسلكه عميقا
كي أصل لحفرة أفراحي
هي حفرة يملؤها رحيق
يختم مسعاي بفلاح

أرشفه فبطني تكتمل
كي أرجع تخمى لقفيرى
لم أخذل رهطي من خلفي
هو أفضل ثمن لرحيلي

خلال ذلك كان الشاب المهندم قد عبر المرج و وصل إلى الفتاة الجميلة التي تنتظره (التي هي حبيبته في الواقع) و كان قد أبصر بالزهرة و من ثمّ قرّر أن يتوّج حبيبته بها عبر قطفها و زرعها في شعرها، الأمر الذي أبصرته النحلة فوقع عليها كالصاعقة، لذلك نسمعها في حسرتها تُردّد:

١٠
مهلا مهلا
ماذا يجري؟
يا للحسرة
عملاق يبطش بالقصر
يقتلعه جميعه من أصله
ثم يزرعه على حذر
في كومة قش مصفر
تعلو عملاقا يصحبه
فتزهو هنالك كالبدر
وقصري بذلك أفقده
بعد أن أدركه بصري
بعد أن كدّت ألمسه
وأرتشف رحيق الحفر

يبدو على النحلة علامات التصميم فهي تأنف أن تجبن و تترك قصر الرحيق بعد أن كادت تلمسه لذلك نسمعها تُكمل:

١١
هل ضاع حقا مسعاي؟
القصر أمامي في الخارج

توشك أن تمسكه يداي
بوسعي دركه و هنالك
سأنال رحيقي و مناي
لن أرجع سغبى لقفيري
لن أحرم تحقيق رجاي
لا يتطلبني سوى شجاعة
وضبط محكم لخطاي
لن أتردد
القصر أمامي لن أجبن
وأعود لبيتي أترنح

لكن عند اقتراب النحلة من الزهرة هشّها الذكر ببساطة فابتعدت مرعوبة و هي تُردّد:

ياللرعب
العملاق يضرب بجسارة
بأعمدة ضخمة تتأرجح
لو أى منها أصابتني
سيؤول مصيري للأفدح
لن أرجع أصلا لقفيري
وسألقى حتفي على الأرجح

من ثمّ تُقرّ النحلة بخسارتها و تعترف بالأمر الواقع مُردّدة:

١٢
فلأعترف
مسعاي آل إلى الحسرة
رزقي مع قصره قد ضاع
قد زُرع بأرض مصفرّة
بعد أن حرمه العملاق
من خصب التربة و الخضرة

في الختام تتذكّر النحلة من الهيئة البشرية للشاب هيئة تشابها و تذكرها جيدا، هي هيئة النحّال الذي يلصّ عسل النحل (من منظور النحلة) لذلك نسمعها تُكمل:

١٣

أعرفه هذا العملاق
أتذكر قطعا هيكله
يأتي خلايانا على غفلة
صحبته حريق يُشعله
قفرنا يمتلئ دخانا
يلف القفر و يشمله
لذلك نهجره جميعا
كلّ يتوقى مقتله
إذ ذلك ينتهز الفرصة
ويلصّ العسل و ينقله
و يترك القفر خرابا
عاليه يُشبه أسفله
وصغارنا سغبى تتضور
ليس لديها ما تأكله
ملعون هذا العملاق
ستظلّ اللعنة تظلّله

ستار...

.....

يفتح الستار.
يعود المشهد لبدايته و يدار المسرح حتى تتوسّطه النبتة الأنثى تعلوها زهرتها البراقة بحجمها الكبير و ألوانها الزاهية و نسمعها بسعادة ظاهرة و هي تُردّد هذا المنولوج:

النبتة الأنثى :

١

هذا يومي
يوم السعد
فحبيبي هناك على البعد
سيرسل هداياه إلىّ
ليوافيني
هدياه في الحق عظيمة
لذاك صحوت من باكر
كي أتجمل
فلعلّ رسوله يأتيني
أوراقي سوف أنضدها
بعزيز الماء سأغسلها
فالندى قطرات أجمعها
كي تُجليني

٢

زهرتي فخري
زهرتي تاجي
سأنمقها و أجلّيها
أوراقها سوف أغسلها
ألوانها سوف أزهّيها
لو كان بملكي أضخّمها
لتصير كبدر مكتمل
للمرج جميعه أهديها
أهديها رؤية
أهديها عبقا

لكن جسدا لن أعطيها
فرسول حبيبى يقصدها
وبويضاتى تقطن فيها
وعبيري سوف أضوّعه
يجتاح المرج بأكمله
بعطور لست أخفيها
فالمرج جميعه مدعو
كي يشاركني فرحة عمري
تشمله الفرحة بأياديها

٣

في الحق حياتي لحبيبي
الشوق إليه يفريني
وثبات الجذر يُعنّيني
لا يمنحني أية فرصة
كي أطفئ نارا تكويني
وأذهب يوما لحبيبي
وأروي ظمأ يُشقيني
وأنال منه و لو نظرة
بحبيبي تكتحل عيوني
لم أره مرة و لو صدفة
لكن وجوده يغزوني
وهواه يهيمن على قلبي
لا يخطر غيره بظنوني
أنا منذ زرعت مشتاقة
والمرج يملؤه حنيني

٤

حياتي كلها لحبيبي
وحياة حبيبي من أجلي
والمرج جميعه يُسعدنا
إذ نقتسمه قسمة عدل
وبذلك كافة أغياره

تُشعرنا برباط الغزل
إن أروى أتراقص طربا
وأنسب مائي للفضل
إذ في البعد يُروي حبيبي
ويصير رسولا للوصل
كما أني أكبر إذ أروى
اقترب بذلك من أجل
أجل أتقصاه حثيثا
إذ فيه سأنعم بالبذل
بذل مصدره حبيبي
فكذلك يكبر من أجلي
ويُعدّ هدايا سيرسلها
ورسوله أحرص الرسل
يأتيه ثم يأتيني
لا يرضى عنا بالبدل
مقداما يقصدنا عنوة
وشجاعا ليس بالوجل
وصبورا يحتمل الشدة
وجريئا ليس بالخجل

٥

إن مرّت نسمة بجواري
أتراقص طربا
أتمايل
فلعلها مرت بحبيبى
الشمس كذلك و القمر
ونجوم سمائي و الفجر
أرقبها بشفيف البصر
إذ حتما يُبصرها حبيبي
بل إن ضيائي يغسلني
وبصافي عطره يسحرني
فهنالك يغتسل حبيبي

بل حتى الليل بحلكته
أرضاه و أقبل سِكّته
فعليها يسبقني حبيبي

يبدو على النبتة علائم التوتر و القلق، لذلك نراها و هي تعيد التأكيد على ما قامت به من ترتيبات حتى تبصرها النحلة، لتستيقن أن كل شيء في موضعه، لذلك تُردّد:

٦

ما بالي اليوم مضطربة
وقلبي يخفق بوجيب
ما للأفكار تناوشني
حتى في الأفكار أغيب
سأشاغل نفسي لأردعها
وأراجع كل الترتيب
زهرتي تتباهى بالحسن
أوراقي جميعها منضودة
قامتي هيفاء بتفاخر
أغصاني جميعها ممدودة
وعطري بعبقه ينتشر
فأصير بفضله مقصودة
وكأني على المرج أميرة
ألست بفرح موعودة؟
يا ليت المرسال يشمه
ويقضي مهاما محدودة

لكن القلق لا يغادرها و يظلّ مستبدا بها، فهناك الكثير من المخاوف التي تعصف بأفكارها، لذلك تُردّد:

٧

هل يمكن أن ينسى حبيبي

الأمر الأفضل في حياته
ويكون قصّر في أمره
لم يُنضج بعد لُقيحاته
ويأتيني مرساله فراغا
لا خير يصحب حركاته؟
أيكون عطبا قد نال
مواضع العطر لدىّ
فتُخرج عطرها مكتوما
بلا عبق ليدل علىّ
ويتوه مرسال حبيبي
ولا يرشده العطر إلىّ؟
هل حجم الزهرة محقور
حتى لا يمكن رؤيتها
ويمر المرسال جواري
دون أن يدرك فتنتها
ويضيع علىّ ترتيبي
بسبب الزهرة و حقارتها؟
أم يقتع مرسال حبيبي
ببطن نصفٍ لم تشبع
ثم ينصرف إلى حاله
ولبيته في ثوان يرجع
وأظل وحدي واهمة
أنتظر بهاءه كي يسطع؟

لكنها تقاوم تلك الأفكار السوداء و تواجهها بالحقائق وفق منظورها، لذلك نسمعها تقول:

٨
أفكاري الشوهاء انصرفي
لا تسعي لتبعثي أحزاني
ذا يوم فرحي و قد كنت

أنتظره منذ أزمان
وحبيبي هنالك أعرفه
أبدا أبدا لن ينساني
لا لا لن يخلف موعده
ويتركني أعاني حرماني
وحبوب لقاحه أنضجها
وسيرسلها دون توان
مرساله كذلك أعرفه
مخلوق حسن مرباه
لن يرضى ببطن منتصفة
فالمرج جميعه مرعاه
وسيسعى بجهد لن يرجع
حتى يتحقق مسعاه
خطتنا قد حيكت أصلا
حتى يقصدنا برضاه
فحبيبى يمنحه النصف
فيدفعه ليحث خطاه
كي يبحث عن نصف أخر
وبذلك أصبح مبغاه

٨

أيتها الأفكار انصرفي
مرسال حبيبي سيجيء
ما بين فينة و الأخرى
إذ ذاك حياتي ستُضيء
فلأصبر حينا لا بأس
فلعل المرسال بطيء
أنا منذ وجدت أتجلّد
بالصبر و العمر رديء
أيكون زماني من القسوة
ويُعاند فرحي و يُسيء؟
حاشاه زماني من قسوة

فزماني رخو و هنيء

و أخيرا تبدو سيماء البهجة على الزهرة، فلقد أبصرت بالنحلة على البعد و هي تتوجّه نحوها، لذلك تقول:

مرسالي قد وصل أخيرا
بوجه حسن و وضيء
ألمحه على البعد هناك
مُحيّاه جميل و بريء

ثم تكمل في سعادة:

٩

يا مرجي افرح يا مرجي
فمرسالي يرنو إليك
يا طائر يعبر في سمائي
صفق صفق بجناحيك
يا شمسي رفقا يا شمسي
برسول حبيبي حنانيك
يا سحبي أظلّي يا سحبي
فلتحميه فضل يديك
الشوق بجوفي يُغالبني
كعصفور يدنو من أيك
مرسالي سريعا فلتحضر
بجمالي متّع عينيك
ولجوفي سريعا فلتدخل
وتعبّ رحيقي بكفيك
ولتملأ بطنك عن آخر
حقا ما أطيب ورديك

خلال ذلك كان الشاب قد وصل و توجّه نحو الزهرة ليقطفها، الأمر الذي أصاب النبتة بالذعر، لذلك نسمعها تقول:

١٠

ماذا يحدث؟
هذا الوحش يرنو إلىّ
ماباله ينكفئ علىّ؟
يا حسرة قلبي
يا و يحي

بعد أن قطف الشاب الزهرة تتابعه النبتة بحسرة و هو يتوجّه بها إلى حبيبته حتى يزرعها في شعرها و نسمعها تقول:

اقتطع الزهرة من جسمي
من ثمّ يتباعد عنّي
وهنالك وحش ينتظره
ألمحه هناك يجاورني
الوحش الأول يتحرك
والآخر ثابت بتأنٍّ
والأول يزرع بسماجة
زهرة قد سرقها منّي
في رأس الثاني و الثاني
يقبلها بفرح يُحزنني
فالوحش الثاني يعلوه
قش مجدول عن فنٍ
زهرتي هنالك قد غُرست
وسروري جميعه غادرني

١١

يالحماقة ذاك الوحش
ينتزع زهرة غنّاء
تزهو في أرض خصباء

يزرعها هنالك بحماقة
في تربة تبدو عجفاء
ستذبل حتما و تجف
من أين يأتيها نماء؟!

تُكمل النبتة دون أن تغادرها الحسرة مُردّدة جرائم هذا الوحش من منظورها:

١٢
يا لوقاحة هذا الوحش
يا سوء فعل أياديه
فبأي حق يحرمني
فرحا كنت أبغيه
ويجعل مسعى الفطن سدى
ويُضيع رسولا في التيه
يرجعه ببطن خاوية
ليقاسي جوع لياليه؟
ولعله يأوي صغارا
مهلكها يزيد مآسيه
١٣
وعلام يحرمني صغاري
ويجعلني أتعس كائنة؟
في عمق زهرتي و بحرص
بويضاتي كانت قاطنة
تنتظر هدايا محبوبي
كي أصبح أما حاضنة
أفتخر دوما بصغاري
أرقب نجاحهم هائمة
١٤
هذا الوحش عقّرني
حرمني أمومتي بغباء
صيرنى نهرا بلا ماء

صيرنى أرضا جدباء
صيرنى مرجا ممحلا
صيرنى نبتة عجفاء
فليقض حياته ملعونا
محروما من أي عزاء

سنار....

.....

يفتح الستار.
يعود المشهد لبدايته و في تلك المرة يدار المسرح بحيث تتوسّطة الفتاة المُحبّة بجمالها و بهائها و نسمعها تُردّد في هيام:

المُحبّة :

١

حبيبي شمس في بهاه
تنتصف سمائي لا تغيب
بضوئها تغسل أعضائي
تتراقص فرحا و تطيب
وتثير الدفء بأوصالي
والبرد أفكاره تخيب
بل حتى ألمي يغادرني
فشمس حبيبي لي طبيب
تمسّ بسحر أطرافي
يغزوها فرح بدبيب
حبيبي قمر في البدر
مسكنه رخيّ و حبيب
أضواؤه رفيقة تغمرني
بسحر طيب و عجيب

٢

حبيبي مصدر ليقيني
ذكراه منبع لحنيني
إن كنت جواره أبصره
فالعالم ملك ليميني
بسمته نعيم يُنعشني
وحنانه دثار يكفيني
أنفاسه عبق يسحرني
تنبعث عبيرا يحويني
أتبعه بعيني لا أطرف
فلعل ذلك يرويني

لكن عطشي لا يُروى
فالشوق إليه يُشقيني
وخوفي عليه يقتلني
لكن بسمته تُحييني
لأظل جواره أتردد
ما بين يسار و يمين
ويظل عطفه يبسطني
ويظل شوقي يطويني
أما إن غاب فيا بؤسي
يسّود العالم في ظنوني
والشمس لا ترسل ضوءا
أو دفء منها يُرضيني
والقمر إلي محاق يركن
والريح جحيم يشويني
ووجودي يوشك يتبدد
لولا ذكراه تواسيني
سيعود سريعا فهدوءا
لا تمضي حياتكِ في أنين
فحبيبكِ رحمة تتدفق
لن يتركك مثل سجين
لكن شوقي يغالبني
لا يهدأ حتى يأتيني
وأشم عبيره يغمرني
وبضوئه تكتحل عيوني

٣

حبيبي عالمي أبصره
يكفيني تماما محضره
إن غاب العالم إلاه
أمر هين ما أيسره
فالعالم من دون حبيبي
خيال محض أنكره

فوجود حبيبي بجواري
للعالم عجب يسحره
إن حضر حبيبي في خريف
يجعله ربيعا أنظره
فراشات تخفق و روائح
والزهر سريعا ينشره
إن مسّ حبيبي الحصباء
صارت في عيوني جواهره
إن مسّ أجاجا من ماء
صار كشراب أعصره
إن مسّ غصنا قد يبس
صار غضا ما أنضره
فحضور حبيبي يكفيني
العالم فيه أحصره
وباقي العالم يتبدد
ما عدت تماما أذكره

٤

حبيبي معنى لحياتي
هو عندي الحاضر و الآتي
بل حتى الماضي يقطنه
مُحتلا كل الجنبات
وبُعده عني يبددني
هو أقصر درب لمماتي
فحبيب حياتي كالمنهل
وغيابه ظمأ يفريني
لولا ذكراه تبدّدت
إذ تمنح صبرا ليقيني
فقريبا سيعود المنهل
ليروي ظمأ يُشقيني
هو يفعل دوما هو يفعل
فحبيبي منهل مورود

لي وحدي دوما موجود
إن غاب قليلا عن نظري
هي محض هنيهة و يعود
وبذلك تتماسك ذاتي
فحبيبي دوما يُدركني
لا يجرؤ فكري أن يذكر
أنه يوما قد يفارقني
فوجودي مبني على وجوده
وفراقه نار تحرقني
أيتها الأفكار ابتعدي
لا تجلبي همّا يؤرقني
فحبيب حياتي بجواري
أبدا أبدا لن يتركني

ثم تذكر موعدهما المنتظر في هذا المرج و تستمر في هيامها:

٥

حبيبي اليوم أسعدني
وبأجمل وعد مناني
فسألقاه و سيصحبني
وسنقضي اليوم في جنان
في مرج أعرفة تماما
تكسوه الخضرة بطغيان
لا يخلو كذلك من زهر
يلقانا سويا بحنان
فاليوم عيدا قد صار
والفصل ربيعا قد أصبح
والعطر حولي يغزوني
والجو جمال مستوضح
والريح بساط تحملني
كي ألقى حبيبي

كي أفرح

وأخيرا يصل حبيبها و تلمحه متوجّه نحوها فتزداد هياما:

٦

يا سعدي
حبيبي قد جاء
والمرج نعيما قد صار
أجواؤه صارت أضواء
والكون جميعه يتوارى
فجميعه قد صار هباء
لم يبق سوانا في الكون
مع مرج يمنحنا هناء

٧

حبيب حياتي أرقبه
بحواسي جميعا أتبعه
بكياني كله أعشقه
فهو لهنائي منبعه
إن قال، أصمت منتبهة
فكلامه لحن أسمعه
إن صمت، أجلس أرقبه
لا تهجر عيني موضعه
إن سار حثيثا أجاريه
في الخطو خطوي يتبعه
فسلوكه مقود لسلوكي
وإليه يقينا مرجعه
وكأني ظل و تجسد
فوق أديم ما أرفعه!
لا يبعدني شيء عنه
وأروم تماما موقعه

و بينما تتطارح الغرام هي و حبيبها أبصرت بالزهرة على طرف المرج لذلك تقول في دخيلتها دون أن يسمعها حبيبها:

٨

في طرف المرج أرى زهرة
تزهو بألوان خلّابة
المرج بفضلها يتراقص
يعبق بعطور جذّابة
تنتصب هنالك كعروس
تنبض بالفرحة الوثّابة
في المرج جميعه لم أبصر
سواها تزهو مضوية
فكأنها رمز للمرج
تُظهر ألوانه المخفية
وكأن المرج بأجمعه
يُسقيها لتظلّ ندية
آه لو يُبصرها حبيبى
يمنحنى إياها هدية
بهجتي تتكامل فورا
وأحوذ سعادة علوية

لكنها تقرّر ألا تطلب منه الزهرة بل ستتركه لهادي العشق حتى يُبصرها بنفسه ويُحضرها بمراده، لذا تُردّد:

٩

لكنّي و رغم أشواقي
لن أخبر حبي بمرادي
أرجو أن يفعلها عفوا
فيكون أسعد لفؤادي
فحبيبي بعمق يفهمني
ويسعى عفوا لودادي

ويدرك رغباتي حدسا
رغباتي لحبي كالهادي
لذا لن أفشي سرّ الزهرة
وسأتركها عليه تُنادي
سأصمت حتى يُبصرها
ويفهم لغة الأنداد
أرجوه عفوا يفعلها
ويُتم هنائي و إسعادي

في عضون ذلك كان حبيبها قد أبصر بالزهرة و توجّه نحوها لذلك تُكمل:

ياللروعة
قد أبصرها
وأراه بدِلّ يقصدها
وكذاك عليها يتحدّب
وبلطف تام يحصدها
وبحرص تام ينضضها
أشواك الزهرة يُبعدها
من ثمّ يتوجّه نحوي
ببسمة ما أرغدها
ثم في شعري يشبكها
إذ بين جدائلي مرقدها
رغباتي أدركها حبيبي
وحياتي ما أسعدها

في تلك الأثناء كانت النحلة قد قرّرت أن تهاجم الزهرة و هي في رأسها فما كان من حبيبها سوى هشّها و إبعادها، لذلك تُكمل:

١٠

يا لحبيبى
يسعى في أمور تُرضيني

يُدركها بحدس يُغنيني
حتى من طلبها يعفيني
يا للطف
فحبيبي بيده يحميني
من نحلة كادت تُؤذيني
أفأسعد مني في العالم
فحبيبي بعطف يحويني
ما دام حبيبى بجواري
فالعالم تملكه يميني
وحبيبى كذلك توّجني
لعالمه ملكة من حيني
زهرته بشعري أحسبها
تاج المملكة و يكفيني

ستار.....

.....

يفتح الستار.
يعود المشهد لبدايته و يدار المسرح في تلك المرة حتى يتوسّطه الشاب المُحبّ و نراه بلباسه المهندم و مشيته الواثقة بجوار النبات الذكر مخترقا المرج إلى الجهة التي فيها حبيبته و هو يردّد ولهانا:

المُحبّ :

١
مذهبي في الحب أني
ليس يعنيني حبيبي
كان جنبي يحتويني
أو تنائى في الدروب
أن يعاندني بصد
أو يرقّ كالمجيب
فأنا في هواه صبّ
في الحضور و المغيب
رغم أني حين يحضر
أتراقص كالطروب
والدنا تُصبح بهجة
ليس فيها من كئيب
أما إن يرحل بهجر
أمض في حزن رهيب
والدنا تُصبح جحيما
والنعيم كاللهيب
غير أني لا ألُمه
أو أُجرّحه حبيبي
٢
فحبيبي حرّ دوما
إن يشأ يرأف بحالي
ويظل في جواري
أو يشأ يهجرني دوما
لأعاني و لا يبالي

فهواي ليس قيدا
وحبيبي عندي غالٍ
لست أسلوه بهجر
لا يرد غيره ببالي

٣

فحبيبي حاز روحي
مذ تجمّعنا سويّا
ثم أدركني بنظرة
صيّرت قلبي رضيّا
بالرضا شفّت عيوني
أبصرت دنياي ضيّا
ضاع منها كل شر
صيّرت ميتها حيّا
واختفى منها العبوس
لم يعد فيها شقيّا
أينما وجّهت عيني
أبصرت منها هنيّا
لم أعد أبصر قبيحا
لم أعد أدرك دَنّيا

٤

فهي لحياتي فرحتها
ونعيما يجتاز سحابا
فضلها عندي لا أنكره
وأقيده بحضر و غابَ
فهواها عبير يشملني
يكسوني بهاء غلّابا
وبكل لطف أنقذني
لهنائي فتّح أبوابا
وكأني كنت منفردا
بصحراء تمتدُّ يبابا
ليلها يشملني بظلمته

وببرد يحرمني صوابا
تُطعمني شوكا أو حسكا
تُسقيني وهما و سرابا
ثم فجأة ظهر حبيبي
مصطحبا برقا و سحابا
وببرقه أشعل أحزاني
فأحالها فحما و ترابا
وانساب دفؤها يشملني
ويبدد بردا و عذابا
وانداح ضوؤها ممتدّا
والظلَمُ و لّت أسرابا
واعتصر سحبه أمطارا
فأحال الصحراء شبابا
تتراقص زهرا مع خضرة
تتقافز فرحا وثّابا
ما عاد شوك أو حسك
غادرتُ وهما كذّابا
فالخير يدفق من حولي
ونعيمي ينساب شرابا
ما عاد خوف أو ظلمة
ما عُدّت في أمري مرتابا

٥

ستظل ناري مشتعلة
تُبدد ليلي و حلكته
فحبيبي يسير علي دربي
وتُسعد قلبي رقّته
هو عندي شمس في بهاه
كالكوكب أتبع خطته
إن حضر حبيبي أو غاب
روحي تترصّد سكته
إن يحضر تخضّر حياتي

الفرح المطلق حضرته
أو يرحل أحتضن الذكرى
فهي للقلب سلوته
فهواه عندي رضى قلبي
ونعيمه المطلق بسمته
أهواه و أرجوه بخير
فهواه لقلبي فرحته
وجدب العالم يخضر
إن يد حبيبي مسّته
٦
تلك حياتي
ولها حياتي
في عينيها
ألمح ذاتي
عيناها وحي يهديني
لحن مكتمل النغمات
فهناك الماضي مخبوء
وكذاك الحاضر و الآتي
يكفيني نظرة في عينيها
كي أعرف مخبوء مصيري
لم أذهب مرة لعراف
أو رُمت راء يهديني
ما خفي عني أبصره
في عين حبيبي و يكفيني
فعين حبيبى نافذة
تُشرف على آت يعنيني
لا هتكا للغيب و حجبه
بل آت يُحكم بالحين
إن بسمت فرحا عيناها
فالآتي فرح في يقتيي
إن غامت حزنا عيناها

فالحزن هناك يُغطّينى
لذلك أسعى في فرحتها
فرحتها هناء يُثريني

يذكر موعدها معه في المرج و يستمر معبرا عن فرحته:

٧

اليوم دعوتها للنزهة
في مرج دوما نرتاده
أنا منذ دعوتها في غبطة
من فرح أنتظر ميعاده
برغم هواجس تأكلني
تتهدد قلبي و مراده
إذ تزعم أنها لن تحضر
وستُشمت فيه حسّاده

لكنه يبدو مضطربا فهواجسه تناوشه زاعمة أنها ربما أخلفت موعدها لسبب أو لآخر، لذلك نسمعه يقول:

٨

يا لهواجسي
لن أتبعها
لو كان بوسعي أردعها
وعن تضليلي أمنعها
تعبث بالنفس لتخدعها
فالمكر السيئ يطبعها
إذ تزعم أنها لن تأتي
فلعل مانع يمنعها
لكن حبيبتي لن تخلف
وستسعد قلبي بمطلعها
إذ أني تصدر عن خُلف

والصدق جميعا مرجعها

وأخيرا يُبصر حبيبته و نسمعه فرحا يُردّد:

ها قد جاءت
ما أروعها!
العطر منها ينساب
ما أضوعها!
موسيقى تصحب مشيتها
بكل كياني أسمعها
٩
يا لهنائي
ما أغناني
الكون ازدوج في ثوانٍ
فحبيبي بعالمه حواني
والعالم أجمعه تجسّد
في حبيبي حين أرضاني
ليل شعره
بحر عيناه
صبح وجهه
نهر شفتاه
غاب جفنه
برد ثناياه
يا لحبيبي
كي يرضيني
وعد فوفّى
حسنت سجاياه
وهواجسي خسئت موضعها
لحظة لقياه

من ثمّ يصطحبها و يتهاديان سويا داخل المرج و يظلّ يُردّد:

١٠

أنا و حبيبي في المرج
نتهادى سويا برويّة
يتمايل نحوي يُسعدني
ثم يعتدل بجديّة
من ثمّ يعود و يتمايل
كغزال يخطو في بريّة
أحسب أن المرج جميعه
يمرّ بفرحة فوريّة
وكأن سعادتنا انعكست
عليه بلحظة عفويّة
فانحالت بهجة تعبره
وتمسّ العشب بحنيّة

بينما هم في مسيرهم إذ أبصر بالزهرة فنسمعه ينسب الأمر للمرج الذي يرغب في التعبير عن شكره لهما مقابل ما فجّراه في أجوائه من سعادة لذا يُكمل:

وحتى يُعبّر عن شكره
سيمنّ علينا بهديّة
زهرة تتربع على عُشبه
كالبدر لطيفة و نديّة
زهرة تتباهى بفتنتها
عطرها ينساب بحرّية
ألمحها هنالك في الطرف
تنتصب لطيفة و هنيّة

ثم يأخذ قراره بأن موضع الزهرة سيكون أجمل في شعر حبيبته لذلك نراه يقطفها و ينضددها و يزرعها في شعر حبيبته و هو خلال ذلك يُردّد:

١١

تلك الزهرة بزهوتها
موضعها في شعر حبيبي
حتى تتزايد فتنتها
مددا من وجه حبيبي
كما تتضاعف ضوعتها
إذ تعبق من ضوع حبيبي
لذاك سريعا أقطفها
لأضعها في شعر حبيبي

بعيد ذلك تهجم النحلة فيهشّها و هو يُهدئ حبيبته:

١٢

مهلا حُبي لا تضطربي
هي محض نحلة قد حامت
كانت تبغي إليك وصولا
من ثم بعيدا قد طارت
ولقد زُدّت عنكِ بكفي
لذاك اضطربت و احتارت
إن تؤذي و أنتِ بجواري
لا نامت عيني لا نامت

ثم يكمل راجيا من حبيبته ألا تغضب من النحلة:

١٣

لكن بالله حياتي
لا تحملي للنحلة كُرها
مرآك حياتي أغواها
وكذلك عطرك أسكرها
ذاك جمال هي تعرفه
تحمله زهور تخبرها

تختزن رحيقا ترشفه
يحدقه لون يُسكرها
لذا قدمت نحوك يا حياتي
حسبتك زهورا تعبرها
فالنحلة لم تقصد شرّا
بل حسن جمالك حيّرها

و في الأخير يُعلن لحبيبته أنه قد توّجها ملكة على عالمه موضّحا أن الزهرة هي تاج تلك المملكة:

١٤
طبتِ حياتي و طاب جمالك
توجتُك ملكة بيميني
بالزهرة و المرج يشهد
ألبستك تاجك من حيني
في كوني ليس كمثالك
بسمة من شفتك تُحيني
مملكتك كوني أجمعه
كافة أحوالك تُرضيني

ستار...

.....

يفتح الستار.
في الخلفية نجد المشهد السابق مكتملا، فالشاب قد توّج حبيبته بالزهرة، والنحلة تبتعد مقهورة، و النبتة الأنثى يبدو عليها الحسرة، لكن المشهد في مجمله تكسوه إضاءة خافتة، بينما تتصدّر الطبيعة الأم المشهد في وسط المسرح تماما و هي تصدح بهذا المونولوج:

الطبيعة الأم :

١

كل أبنائي أعرفهم
أجمع يمضون على دربي
فالكلّ يلتزم قانوني
ما منهم من يسع لهرب
فشروطي أفرضها عليهم
والكلّ يلتزم بحب
إلا البشر
وعيهمُ سبب في كربي
إذ يختطون برغبتهم
طرقا لدروبي تجتنبِ

٢

فالنبت الذكر زهرته
يملؤها لقاح كالحَب
والنبتة الأنثى تختزن
بويضات تبحث عن خصب
تخزنها هناك في زهرتها
حتى يأتي آتي القرب
والنحلة بينهما تسعى
كي تصل محبا بمحب
هي تؤجر على ذاك رحيقا
تحمله و تسعى في الدرب
مقصدها قفيرها فهنالك
ستمارس فعلا كالعجب

ستحيل رحيقها بمهارة
لعسل مفتخر رطب
٣
العسل غذاء للنحل
العسل حياة لقفير
النحل يسعى من أجله
ينطلق بعيدا و يطير
ثم يأتي آتي البشر
ويُفسد هذا التدبير
٤
الذكر الغافل يجتز
من النبتة الأنثى زهرتها
يُعطيها لأنثاه هديّة
علّها تفرح بهديتها
هو يأتي فعلته عفوا
لا يدرك حجم مصيبتها
فبفعلته
حُرمت نحلة من فرصتها
غرقت نبتة في تعاستها
أغضب طبيعته الأم
يا لقساوة غضبتها
فالطبيعة الأم ترضى
حين تنجح خطتها
ومحور خطتها خصب
تُجسّد فيه إرادتها
ففيه بقاء لبنيها
وبه تُحفظ ذريتها
لذا بالفرحة تُقرنه
وتُشرق فيه بسمتها
٥
يا للذكر و حمقته

كم يحكم مسلكه غباء!
ما ضره لو ترك الزهرة
تزهو موضعها حسناء
ووصف جمالا يقطنها
يجعلها للحسن رجاء
ودعى حبيبته لرؤيتها
ليدّعي عنها ما شاء
فليزعم أنها تُشبهها
في الحسن سواء بسواء
أو أن حبيبته أجمل
كالبدر يعلو الحصباء
أو أن جمال حبيبته
يجعل زهوتها كهباء
ما دام سيتركها تُخصب
وكذلك للنحلة تُشبع
فكلامه هذا يعنيه
فليصله صباحا بمساء

٦

أنا أم جميع الأحياء
والبشر كذلك أبنائي
لكن البشر بغفلتهم
آذوني و شتتوا أشلائي
سعيهم خلف المصلحة
يختطف مني أحبائي
بكل عقوق و غلو
يذيقوني مُرّ بلائي
المصلحة حجاب يعميهم
إذ يُنسيهم أن بقائي
شرط لبقائهم جميعا
إن أمرض يُهلكهم دائي
فجميعنا في مركب واحد

الداني فينا و النائي
كما أن الغفلة تشقيهم
تحجبهم عن سر دوائي
فهناك توازن يحفظني
محوره كل الأحياء
بحمق البشر و غفلتهم
سيئول حتما لشقاء

٧

يا ويلي من البشر يا ويلي
غاباتي أفقدها تباعا
ينقرض أبنائي تباعا
خضرتي تتلاشي ، تتصحر
تتزايد صحرائي تباعا
هوائي أفقد نقاوته
تملؤه الأبخرة تباعا
حرارتي تنحال جحيما
تتزايد حدتها تباعا
وكنوز القطب تتبدد
تتقلص كتلتها تباعا
وكأنما رأس مكسوة
والصلع يهاجمها تباعا
والماء يزيد بأرجائي
واليابس ينتقص تباعا
وكهوف الأعاصير انفتحت
تتتالي الضربات تباعا
غضبي تتزايد حدّته
للأحمق لن أبقي متاعا
حرق و جفاف و عواصف
حتى يأتيني منصاعا
أما إن واصل غفلته
وتأول غضبتي خداعا

فلحتفه سيؤول بظلفه
حضارته ستزول سراعا
٨
بفعال البشر و حمقتهم
العجز يدب في أوصالي
الشيخوخة تزحف نحوي
تنحو للأسوأ أحوالي
رئتي أشجارها تتقلّص
وتؤول لخراب خال
كما أن الأدخنة تغزوها
كصدر مدخن لا يبالي
من يسمع يصدمه أنيني
ويرقّ عطفا لسعالي
بشرتي مجدورة تتحول
ما عادت سرّا لجمالي
عيوني عكرة قد صارت
إذ تُطرح فيها أوشالي
الحمقى فعلهم غباء
سيحطم كافة آمالي
٩
أتراهم ليس عن عمد
يسعون لحتفهم و حتفي؟
أتراهم بكل براءة
يقضون عليّ بالخسف؟
يسعون خلف المصلحة
كباغ ماء للرشف
من دون عمد أو قصد
أو علم بمصير مخفي
المصلحة بسحر تغويهم
ولا تنهاهم بالكف
أم أنهم قساة قلوب

ويكون مسعاهم عمدا؟
فالمصلحة أسوأ آمر
يمد المرأ إليه يدا
تحبسه توا في اللحظة
ويبيع فداء اليوم غدا
لا يدري هاد إلاها
وحياته تتسرب بددا
وعلام الحيرة بشأنهم
فلديهم وعيّ يهديهم
ما دام الوعيّ يُظلّلهم
فالوعيّ دليل يُخزيهم
فالواعيّ لا يفعل عفوا
بل عمدا تفعل أياديهم
فالوعيّ دليل كالشمس
عن قصد خلف مراميهم
لكن الواعي يتحوّط
من ثمّ يُحكم خطته
كما يُحجم عندما يتعثّر
ويراجع دوما فكرته
فعلام يركبهم حمق
يواري الوعي و جنّته
أيكون التسويف السبب
إذ يتبعون طريقته؟
فالتسويف وهم طاغ
يحبسك تماما في الآني
يلخّص عالمك في حاضر
لا يتجاوز بضع ثواني
يدعوك لتفعل ما تأبى
أو حتى يدعو لهجران
أفعالا تُصلح من شأنك
مع وعد براق فان

بأنك سوف في الغد
تُصلح ما فاتك من شان
وغداه وهم لن يأتي
مهما عانيت بحرمان
فالبشر يسعون في حتفي
مع وعد كاذب خوان
بأن في الغد سيعتدلون
ويُزيحوا شتّى الأحزان
وغداهم قبل أن يأتي
العلل ستغزو أبداني
حتى إن صدقوا و اعتدلوا
سيكون تحقق خسراني
فهنالك حد للعلل
حد مضبوط بميزان
حد لو جاوزه البشر
سيئول الكل لخذلان
فحمق البشر ينسيهم
أنه لو جاء الطوفان
فجميعنا في مركب واحد
وإن كانوا فيه الربّان
فإما نسلم أجمعنا
ونصل البرّ بأمان
وإما نهلك أجمعنا
ونسكن أرض النسيان
قبل أن يُهلكني البشر
سيُهلكوا قبلي بأزمان
١٠
أبنائى جميعا أشهدكم
فعال البشر تُدمرنا
فلنتكاتف كي نردعهم
حتى يتحسّن حاضرنا

فهوائي سأجعله جحيما
ليذوبوا حرا و هوانا
وسآكل منهم يابسهم
ببحار أدفعها طوفانا
والترب الخصبة سأعقرها
لن أرحم منهم جوعان
وقراب المطر سأغلقها
لن أروي منهم ظمآن
وكهوف رياحي سأفتحها
لن أبقي لديهم بنيانا
بل إني بمائي سأخلطها
وسأتقن فعلي إتقانا
وبذلك أصنع أعاصير
أفواهها تغلي غليانا
ككهوف جحيم مشرعة
لن تُبقي لديهم شُطآنا
من قرّب منها ستلتهمه
وتلفظه حقيرا و مهانا
لعلّ ذلك يلفتهم
ويرون حقيقته بيانا
وتنقشع حجب أعينهم
فتُبصر صدقا و إيمانا
ويرون فعالهم بلايا
يحظون منها حرمانا
فليقلعوا من فور و إلا
الكل سيغدو خسرانا

١١

أيها البشر أذكّركم
أن مصائرنا تشتجر
إن ماتت يوما أمكم
فهلاككم لمح البصر

أيها البشر رحماكم
أمكم الطبيعة تحتضر

ستار....

-- ((تمت))--

.....